

## فتح مكة والرحمة (٨٣)

صالح رسول الله ﷺ قريش في السنة السادسة للهجرة عام الحديبية، وكان ضمن شروط صلح الحديبية (إن من شاء أن يدخل في عقد محمد بن عبد الله ﷺ دخل فيه، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش دخل فيه) فدخلت خزاعة في عقد النبي ﷺ، ودخلت بكر في عقد قريش فاعتدت بكر على خزاعة وساعدتهم في ذلك

---

(١) لمزيد من التوسع انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، وذكر فتح مكة).

قريش فعد هذا نقضاً للعهد من قبل قريش، وقد جاء أحد زعماء خزاعة وهو عمرو بن سالم الخزاعي فأنشد الرسول ﷺ أبياتاً يستحثه فيها على العهد ومساعدتهم بناءً على العهد وخصوصاً أن قريشاً ساعدت حلفاءها وهذا اعتداء على حلفهم مع المسلمين، وكان مما قال:

يا رب إنني ناشد محمداً حلف أبيننا وأبيه إلا تلتدا

إلى آخر القصيدة فقال ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم، ثم جاء وفد آخر من خزاعة يطلب مناصرة النبي ﷺ فوعدهم خيراً ثم إن قريشاً أحست بالخطر، وجاء زعيمها أبو سفيان بن حرب إلى المدينة ليجدد العهد مع النبي ﷺ، فدخل بيت ابنته أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان، حيث كان صهراً للنبي ﷺ، فلما دخل البيت أراد أن يجلس على فراش النبي ﷺ، فرفضته عنه ابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، فقال: والله لقد أصابك بعدي شر، ثم إن أبا سفيان أتى النبي ﷺ فكلمه فلم يرد عليه ثم أتى أبا بكر ﷺ ليتوسط له عند النبي ﷺ فقال ما أنا بفاعل، ثم كلم عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: أنا اشفع لكم عند رسول الله ﷺ والله لو لم أجد إلا الذر

لجاهدكم به ، ثم أتى علياً وعنده فاطمة والحسن بن علي بينهما غلام صغير فقال له علي: والله لقد عزم رسول الله على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه فقال لفاطمة (رضي الله عنها): يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا أن يجير الناس فيكون سيد العرب؟ فقالت: ما بلغ ابني هذا أن يجير الناس، فلما اشتد الأمر عليه قال لعلي عليه السلام، أنصحنى فقال له علي: أنت سيد كنانة فقم فأجر بين الناس ثم ألحق بأرض قومك، قال أو ترى ذلك يغني عني شيئاً قال علي عليه السلام لا ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد وقال إني قد أجرت بين الناس، فلما قدم مكة قال له أهلها والله ما زاد علي على أن سخر بك.

ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز الناس للغزو، وكان حريصاً على أن لا تعلم قريش بخبر تحركه، وأرسل إحدى سراياه الطلائعية إلى جهة غير مكة حتى يظن الناس أنه يجهز لتلك الجهة وفي الوقت نفسه أخبر أصحابه أنه متوجه إلى مكة وطلب منهم أن يكتموا الخبر وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها.

وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة في رمضان سنة ٨ هـ، وخرج معه خمسة آلاف من المهاجرين والأنصار، ولحقت به جموع مسلمة من قبائل مزينة وسُلَيم، وغفار، وجهينة، وتميم، وأسد حتى كان

مجموع جيشه حين وصل قرب مكة عشرة آلاف مقاتل، نزل بهم رسول الله ﷺ مر الظهران.

وكان العباس بن عبد المطلب ﷺ قد قابل الرسول ﷺ وهو في الطريق مظهرًا إسلامه وقيل أنه كان يكتُم إسلامه قبل ذلك بوقت طويل وله مواقف مع النبي ﷺ، منذ بيعة العقبة الثانية تدل على ذلك، وكان العباس حريصًا على إسلام قومه، فركب بعد ذلك بغلة النبي ﷺ، فيستأمنوه أو يسلموا، كان ﷺ قد أمر المسلمين أن يكثرُوا من نيرانهم - وكانوا في الليل - ليرعبوا أهل مكة حتى لا يقاتلوا، فأشعلت قرابة الألف نار في وقت واحد، فلما رأتها قريش خرج أبو سفيان ليستطلع الخبر وكان زعيمها، فلقية العباس ﷺ عم النبي ﷺ فأمنه، ثم أتى به النبي ﷺ فأمضى تأمين العباس إياه فلم يعرض له المسلمون بشر، وفي الصباح جاء به العباس ﷺ إلى النبي ﷺ فأعلن إسلامه، ثم إن العباس قال للنبي ﷺ، إن أبا سفيان يحب الفخر عند قومه فلو أمنت من دخل داره.

وكان النبي ﷺ حريصًا أشد الحرص على أن يكون دخوله إلى مكة سلمياً وأن لا يراق في ذلك دم، ولذا فعند دخوله مكة قسم جيشه إلى أربعة أقسام تدخل من جهات مكة الأربعة مظهرة قوتها وكافة عن الناس حتى يستسلم أهل مكة للأمر الواقع ويسلموا بسلام، وفي الوقت نفسه أعلن الرسول ﷺ: ((إن من دخل دار أبي

سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن))، وبذلك أتاح كل فرص الأمان لمن رغب فيه، ودخل رسول الله ﷺ مكةً بسلام وركزت رايته في الحجون، وقد لقيت كتيبة خالد بن الوليد رضي الله عنه بعض المقاومة التي سرعان ما سقطت، وفر المشاركون فيها إلى بيوتهم أو إلى خارج مكة، وكان دخول رسول الله ﷺ دخول المتواضعين لله حيث كان مطأطئ الرأس خاشعاً لله تعالى، يقرأ سورة الفتح، ثم توجه إلى الكعبة وطاف بالبيت سبعة أشواط ثم قال ﷺ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، إلا كل دم أو مائة فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ثم قال: يا معشر قريش ما تظنون إني فاعل بكم؟، قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال ﷺ قولته المشهورة: اذهبوا فأنتم الطلقاء. ثم دعا على الأصنام، وكانت ثلاثمائة وستين صنماً وكان يشير إليها ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الآية (٨١) [الإسراء]. فأسقطها جميعاً وأمر بها فحطمت، ثم بايع الرسول ﷺ من بايع من الرجال على الإسلام، ثم بُييع النساء على الإسلام، وعلى شروط أخرى خاصة بهن، وحين حضرت صلاة الظهر رفع بلال صوت الحق من على ظهر الكعبة معلناً "الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله" وقد

كره بعض حديثي الإسلام من قريش رؤيتهم وسماعهم لذلك ثم ندموا على ما قالوا بعد أن حسُن إسلامهم، وهكذا تطهرت مكة من الشرك لغير الله وانتهت قوتها المعاندة للإسلام وأصبحت أحد مدن المسلمين بل أهمها، حيث نظمها رسول الله ﷺ وعين عليها عتاب بن أسيد أميراً.

وقد أهتم رسول الله ﷺ بتعليم أهل مكة الإسلام حيث بقي عندهم تسعة عشر يوماً غادر بعدها لملاقاة قبيلتي ثقيف وهوازن التي استعدت لقتال رسول الله ﷺ بعد أن فتح مكة، كان فتح مكة سبباً عظيماً في خفة حدة العرب في حرب الإسلام، حيث دخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجاً، بعد دخول قريش فيه وسقوط أقوى قوى الشرك المعادية للإسلام.

كما بعث الرسول ﷺ سراياه وبعوثه لمختلف المناطق المجاورة لمكة حيث حطموا الأصنام وقضوا عليها بلا رجعة. صلى الله على نبي الهدى والرحمة والتوحيد، ورضي عن أصحابه البررة.

